اذا اراى مايرا من اشياء كثيرة مختلفة الانواع والاشكال في مرة واحدة كلمة واحدة واقصا مكليتان وهي التي يكررها في كل
قول ومع كل ما يسمع ويرى سلها وسلها تحترك او قولي له او قولي باصغره قال ابو البركات ولقد عاينته يوما وحاققته
في ان لا يتكلم البتة واريته عدة اشياء فقال لفظة واحدة فقلت له الشرط املك فاغتاظ واخذ طيشة عن ان علك نفسه
فنلج بخبيئته قال ومثلك نيطن انني اشرت الى هذا كله بهذه اللفظة فاسمع الآن ثم التفت اليها واخذ يشير باصبعه
الى شيء وهو يقول تلك الكلمة وهي تقول هذا كذا على الاتصال من غير توقف وهو يقول تلك الكلمة لا زيادة عليها وهي لفظة
واحدة بلحن واحد وهيئة واحدة حتى تحيرنا واشتد تعجبنا ورأينا ان هذه الاشارة لو كانت تتضمن هذه الاشياء
لكانت اعجب من كل ما تقوله العمياء قال ابو البركات ومن عجيب ما شاهدناه من امرها ان اباها كان يغلط في شيء
فيعتقده على خلاف ما هو به فتخبر هي عنه على معتقد ابيها كان نفسها هي نفسه قال ابو البركات ورأيناها تقول ما لا يعلمه
ابوها من خبيئة في الخبيئة التي اطلع عليها ابوها فكانت تطلع على ما قد علمه ابوها وعلى ما لم يعلمه ابوها وهذا
اعجب واعجب قال ابو البركات وحكاياتها اكثر من ان تعد وعند كل احد من الناس من حديثها ما ليس عند الآخر لانها
كانت تقول من ذلك على الاتصال لشخص شخص جوابا بحسب السؤال قال وما زلت اقول لك ان من يأتي بعدنا لا يصدق
بما رأيناه منها فقلت لي لو يريدان اعتقد في العلة في معرفة هذه فقلت لك العلة التي تصلح في جواب لم في نسبة المحمول الى
الموضوع يكون الحد الاوسط في القياس وهذه بالعلة الفاعلة الموجبة لذلك فيها هي نفسها بقوتها وخاصتها فما
الذي اقوله في هذا وهل لي ان اجعل ما ليس بعلة علة واعلم انا لا ننكر ان يكون في نوع البشر اشخاص يخبرون عن الغيوب
ولكن كل ذلك مستند الى الباري سبحانه باقداره وتمكينه وتهيئة اسبابه فان كان المخبر عن الغيوب ممن يدعي النبوة
لم يجز ان يكون الا باذن الله سبحانه وتمكينه وان يريد به تعالى استدلال المكلفين على صدق مدعي النبوة لانه لو كان كاذبا
لكان تمكين الله تعالى المخبر تعليمه ذلك اضلالا للمكلفين وكذلك لا يجوز ان يمكن سبحانه الكاذب في ادعاء النبوة من
الاخبار عن الغيب بطريق السحر وتسخير الكواكب والطلسمات ولا بالزجر ولا بالقيافة ولا بغير ذلك من الطرق المذكورة فيما
من استفساد البشر واغوائهم واما اذا لم يكن المخبر عن الغيوب مدعيا للنبوة نظر في حاله فان كان ذلك من الصالحين
الاتقياء نسب ذلك الى انه كرامة اظهرها الله تعالى على يده ابانة له وتمييزا عن غيره كما في حق علي عم وان لم يكن كذلك امكن
ان يكون ساحرا او كاهنا او نحو ذلك وبالجملة فصاحب هذه الخاصية افضل واشرف ممن لا يكون فيه من حيث اختصاصه
بها فان كان للانسان العاري منها مزية اخرى يختص بها توازيها او تزيد عليها فيرجع الى التمثيل والترجيح بينهما والا
فالمختص بهذه الخاصية ارجح واعظم من الخالي منها على جميع الاحوال الاصل وقال عليه السلم لما قتل الخوارج وقيل له يا
امير المؤمنين هلك القوم باجمعهم قال كلا والله انهم نطف في اصلاب الرجال وقرارات النساء وكلما نجم منهم قرن
قطع حتى يكون آخرهم لصوصا سلابين الشرح نجم ظهر وطلع وقرارات النساء كناية لطيفة عن الارحام ومن
الكنايات اللطيفة الجارية هذا المجرى قوله تعالى او لامستم النساء وقوله شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم يعني
الفروج وقول رسول الله صلى الله عليه وآله للحادي يا انجشة رفقا بالقوارير يعني النساء والكناية ابدال لفظة
انما يستحي من ذكرها او يستهجن ذكرها او يتطير بها او يقتضي الحال رفعها لامر من الامور فتلفظه ليس فيها ذلك
المانع ومن هذا الباب قول امرئ القيس سموت اليها بعد ان نام اهلها * سمو حباب الماء حالا على حال * فقالت
لك الويلات انك فاضحي * الست ترى السمار والناس احوالي * فلما تنازعنا الحديث واسمحت * هصرت بغصن ذي شماريخ
ميال * وصرنا الى الحسنى ورق كلامنا * ورضت فذلت صعبة اي اذلال * قوله فصرنا الى الحسنى كناية عن الرفث ومقدمات
الجماع وقال ابن قتيبة تمازح معوية والاحنف فما روي ممازحان اوفر منهما قال معوية يا ابا بحر ما الشيء الملفف في البجاد
فقال السخينة يا امير المؤمنين وانما كنى معوية عن بني تميم بالنهم وحب الاكل بقول القائل * اذا ما مات ميت من تميم * فسرك
ان يعيش فجيء بزاد * بخبز او بتمر او بسمن * او الشيء الملفف في البجاد * تراه يطوف في الآفاق حرصا * ليأكل رأس لقمان بن عاد *
واراد الشاعر وطب اللبن فقال الاحنف هو السخينة يا امير المؤمنين لان قريشا كانت تعير باكل السخينة قبل الاسلام

لان اكثر ما كان زمان قحط والسخينه ما يسخن بالنار ويذر عليه دقيق وغلب ذلك على قريش حتى سميت سخينه قال حسان *
زعمت سخينه ان ستغلب ربها * وليغلبن مغالب الغلاب * فعبر كل واحد منهما من معوية والاحنف عما اراده بلفظ غير
مستهجن ولا مستقبح وعلم كل واحد منهما مراد صاحبه ولم يفهم الحاضرون ما دار بينهما وهذا من باب التعريض وهو قريب
من الكناية ومن كنايات الكتاب العزيز ايضا قوله تعالى واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطأوها كنى بذلك
عن مناكح النساء ومنها قوله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم كنى عن مواقع النسل بمواقع الحرث وما ورد
في الاخبار النبوية في هذا الباب الخبر الذي فيه ان المرأة قالت للرجل القاعد منها مقعد القابلة لا احل لك ان تفض
الخاتم الا بحقه فقام عنها وتركها وقد اخذ الصاحب ابن عباد هذه اللفظة فقال لابي العلاء الاسدي الاصفهاني وقد دخل
بزوجة له بكر * قلبي على الجمر يا ابا العلاء * فهل فتحت الموضع المقفلا * وهل فضضت الكيس عن ختمه * وهل كحلت الناظر
الاحولا * وانشد الفرزدق في سليمن بن عبد الملك شعرا قال فيه * دفعن الي لم يطمثن قبلي * وهن اصح من بيض النعام *
فبتن بجانبي مصرعات * وبت افض اغلاق الختام * فاستنكر سليمن ذلك وكان غيورا جدا وقال له قد اقررت بالزنا
فلا جلدنك فقال يا امير المؤمنين اني شاعر وان الله تعالى يقول في الشعراء وانهم يقولون ما لا يفعلون وقد قلت ما
لم افعل قال سليمن نجوت بها ومن الاخبار النبوية ايضا قوله عم في الشهادة على الزنا حتى تشاهد الميل في المكحلة ومنها
قوله عم للمرأة التي استفتته في الذي استحلت به ولم يستطع جماعا قال لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك
ومنها قول المرأة التي شكت الى عايشة زوجها ان يطمح بصره الى غيرها اني عزمت على ان اقيد الجمل اشارة الى ربطه
ومنها قول عمر يا رسول الله هلكت قال وما اهلكك قال حولت رحلي فقال عليه السلم اقبل وادبر واتق الحيضة ففهم صلى
الله عليه وآله ما اراد وراى عبد الله بن سلام على انسان ثوبا معصفرا فقال لو ان ثوبك في تنور اهلك لكان خيرا
فذهب الرجل فاحرق ثوبه في تنور اهله وظن انه اراد الظاهر ولم يرد ابن سلام ذلك وانما اراد لو صرف ثمنه في دقيق
يخبزه في تنور اهلك ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله اياكم وخضراء الدمن والدمن جمع دمنة وهي المزبلة فيها البعر
تنبت نباتا اخضر وكنى بذلك عن المرأة الحسناء في منبت السوء ومن ذلك قولهم اياك وعقيلة الملح الدرة تكون
في الماء الملح ومرادهم النهي عن المرأة الحسناء واهلها اهل سوء ومن ذلك قولهم لبس له جلد النمر وقلب له ظهر المجن
وقال ابو نواس * لا اذود الطير عن شجر * قد بلوت المر من ثمره * وقد فسر قوم قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما
فقالوا ارادوا اذا عبروا عن اللفظ بما يقبح ذكره كنوا عنه فسمى التعبير عن الشيء من ورائه وسمي الكناية عنه كرما ومن
ذلك بنتا اعرابية صرخت وقالت لسعتني العقرب فقالت امها اين فقالت في موضع لا يضع الراقي انفه كنت بذلك
عن السوءة ومن هذا الباب قوله سبحانه ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان
الطعام قال كثير من المفسرين هو كناية عن الغائط لانه يكون من الطعام يراد منه السبب كما كنوا عن السمة بالنار فقالوا
ما نارها تلك اي ما سمتها ومنه قول الشاعر * قد سقوا ابلهم بالنار * والنار قد تشفي من الاوار * وهذا من ابيات المعاني
يقول هم عز ومنعة فيسقي رعاتهم بالسمات التي على الابل وعلم المزاحمون له في الماء انه لا طاقة لهم عنا بعزتهم عليه لعزهم
فكانت السمات سببا لسقيها والاوار العطش فكنى سبحانه بالاكل عن الطعام عن اتيان الغائط لما كان اكل الطعام سببا
له كما كنى الشاعر بالنار عن السمة لما كانت النار سبب السمة ومن هذا الباب قوله سبحانه وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم
الى بعض كنى بالافضاء عن الجماع ومن الاحاديث النبوية من كشف قناع امرأة وجب عليه مهرها كنى عن الدخول بها بكشف
القناع لانه يكشف في تلك الحالة غالبا والعرب تقول في الكناية عن العفة ما وضعت مومسة عنده قناعا ومن حديث
عايشة كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصيب من رؤوس نسائه وهو صائم كنى بذلك عن القبلة ومن ذلك قوله تعالى
هن لباس لكم وانتم لباس لهن كنى بذلك عن الجماع والمخالطة وقال النابغة الجعدي * اذا ما الضجيع ثنى عطفه *
تثنت وكانت عليه لباسا * وقد كنت العرب عن المرأة بالريحان وبالسرحة قال ابن الرقيات * لا اشم الريحان الا بعيني *
كرما انما تشم الكلاب * اي اتقنع من النساء بالنظر ولا اركب منهن محرما وقال حميد بن ثور الهلالي * ابى الله الا ان

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)